المجلة العلمية لكلية الفنون الجميلة - جامعة الإسكندرية
SCIENTIFIC JOURNAL OF FACULTY OF FINE ARTS ALEXANDRIA UNIVERSITY
PRINT ISSN : 2356-8038 ONLINE ISSN : 2535-227X
DOI : 10.21608/SJFA.2024.264825.1040

الفقد وأثره على فن التصوير الحديث والمعاصر: دراسة تحليلية

هالة الحداد [1]

الملخص

يُعَدُّ الفقد أحد أعمق التجارب الإنسانية التي تترك أثراً بالغاً على النفس البشرية، وقد عَبَّرَ الفنانون عن هذا الشعور المُعَقَّد بطُرُقٍ متنوعة مستخدمين الفن كوسيلة للتعبير عن الحزن والشوق والفقد، والتأمل في الحياة والموت. يهدف هذا البحث إلى دراسة كيف جسَّد الفنانون مفهوم الفقد في أعمالهم، وما هي الأبعاد المختلفة التي يستكشفونها من خلال هذا الموضوع. وقد تناولت الباحثة عددًا من الفنانين في العصر الحديث من الغرب مثل الفنان رينيه ماجريت والفنان فرانسيس بيكون، ونماذج عربية مثل الفنان السكندري سيف وانلي، ثم الأجيال المعاصرة التي عبَّرت عن الفقد في الأعمال الفنية مثل الفنانة سميَّة الحداد والفنانة مروة إسماعيل والفنانة بانسيه أحمد والفنانة نورهان المهدي

ثم استعرَضَت الباحثة عدداً من أعمال تجربتها العمليَّة التي تحمل في ظاهرها حدساً ذا طابع شخصي لكنه ليس في صورة الأنا السطحية بل عَبَّرَت عن أشياء كثيرة من الأنا العميقة المُكوَّنة من مجموعة ذكريات تلعب دور القيادة دون عمد، فدفعها الشعور بالضيق إلى الانطلاق حتى وإن بدا ذلك مستحيلاً. ففرشاة الفنان لا تخضع للقوانين العقلية بل تقودها الاندفاعات الباطنة عن طريق استخدام اللون والضوء والإيقاع والأجساد وإعادة خلق حياة كائنات اللوحة من ألوان الزهور من جديد في تلك اللحظة الإبداعية المتناقضة بين الألم وقوة الشعور بالحياة والحب ومرارة الفقد وعلاقاتها بالفن كمُتَنَفَّس يُلامِس آفاق الفِكر ويعشق الوجود ويُشير إلى جمال الحياة من خلال ضربات الفرشاة. نستطيع أن نَتَلَمَّس التناقضات في الأعمال بين البهجة والألم، مُجَسِّدَةً بذلك جزء من معاناة داخلية قد التقطُّها بقلبي وسَجَّلتُها بفرشاتي، فالأعمال هنا بمثابة تعبير عن الذات أو الأنا بما تحمِله من آلام وأوجاع يكشفها الابداع

الكلمات الدالة: الحَدس، الأنا، الإلهام، الفقد

1. المقدمة

الفقد هو جزء لا يتجزأ من الحياة الإنسانية، والفنانون يلعبون دوراً هاماً في مساعدتنا على فهم هذا الشعور المُعَقَّد والتعبير عنه. فمن خلال استكشاف أعمالهم، يمكننا أن نرى مدى عمق المشاعر الإنسانية وتنوُّع الطُرُق التي يُمكن بها التعبير عن هذه المشاعر. فقد عكس الفنانون في أعمالهم تجاربهم الشخصية مع الفقد؛ إذ يستكشف الفنانون الأسئلة الفلسفية حول معنى الحياة والموت، والتأمُّل في الزمن والخلود. يُقدِّم الفنانون المُعَاصِرون رُؤَىً جديدة ومبتكرة لموضوع الفقد، مستخدمين مواد ووسائل تعبير متنوِّعَة.

تُعَدُّ أعمال الفنان السّريالي البلجيكي "رينيه ماجريت" من أكثر الأعمال الفنيَّة التي أثارت حيرة المتلقين، وذلك بفضل قدرته الفريدة على تحويل العناصر اليومية إلى ألغاز بصريَّة عميقة المعنى. وعلى الرغم من أنَّ ماجريت لم يتناول موضوع الفقد بشكل مباشر وصريح في لوحاته، فإنَّ هذا الشعور يتسلَّل إلى أعماله بطُرُق عدَّة، حيث يُصَوِّر أشياء مألوفة ولكنها تخلو من العنصر الأساسي الذي يجعلها كاملة. على سبيل المثال، لوحته الشهيرة "ابن الإنسان" التي يظهر فيها وجه رجل مخفي خلف تفاحة، يوحي بفقدان الهويَّة أو الشخصيَّة الحقيقية. تخلق لوحات ماجريت تناقضات غريبة بين العناصر الواقعية والخيالية، مما يثير تساؤلات حول طبيعة الوجود والحقيقة. هذه التناقضات تعكس حالة من الفقدان والتيه، حيث يصبح من الصعب تمييز ما هو حقيقي وما هو وهم.

نموذج الدراسة الثاني هوالفنان الإنجليزي الشهير "فرانسيس بيكون" الذي لم يكن رَسَّاماً فحسب، بل كان مُؤَرِّخًا للروح البشرية في أعمق حالاتها؛ إذ تتميَّز لوحاته بتشوهها العاطفي وقوتها المعبرة. غالبًا ما تتناول موضوعات الوجود، الهوية، والمعاناة الإنسانية وبالأخص الشعور الفقد. هذا وتُعَدُّ الوجوه المشوَّهة في لوحات بيكون علامة فارقة. هذه الوجوه ليست مجرَّد تشوهات عشوائية، بل هي صرخة

[1] مدرس بقسم التصوير كلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية
hala.elhadad@alexu.edu.eg

DOAJ DIRECTORY OF OPEN ACCESS JOURNALS

صامتة تعكس المعاناة الداخلية والشعور العميق بالفقد. سواء كان هذا الفقد هو فقدان شخص عزيز، أو فقدان الهويَّة، أو فقدان الأمل، فإنَّ هذه الوجوه تجسِّد الألم والمعاناة البشريَّة بوضوح.

تتحدث إلينا أعمال أحد مُؤَسِّسي الحركة الفنية السكندريَّة عن ألم الفقد؛ فعلى الرغم من تَمَيُّز لوحات سيف وانلي بألوانها الزاهية وحركتها الدائمة، فإنَّها تحمل في طيَّاتها الكثير من الحزن والشوق. قد لا يكون الفقد موضوعاً صريحاً في لوحاته، ولكن يُمكن رؤيته في انتقال الأسلوب الذي كان ينتهجه من استخدام الألوان الصريحة والوحشية إلى استخدام ألوان قاتمة تدل على مدى شعوره بالحُزن بعد وفاة شقيقه أدهم وانلي، الذي كان رفيقه في الفن والحياة. فبدأت لوحات وانلي تتجه نحو الألوان الداكنة والأجواء الحزينة التي عَكَسَت حالة الحزن التي سيطرت عليه، وتحوَّلت لوحاته من الاحتفاء بالحياة إلى التأمُّل في الفقد.

لذلك نجد أنَّ الفن هو سبيل النجاة عندما تُغلق أمامنا أبواب الواقع؛ إذ يُمكِّننا من الانطلاق والتحليق إلى آفاق متعدِّدة، ويُـتيح لنا جميعاً آليّة التنفيس عمَّا بداخلنا من آلام وأحزان. إنها حرية التقمُّص الفني، ففي كل لوحة قد تظهر أكثر من شخصية تصحبها الأزهار والورود والطيور التي تؤدِّي إلى التوازن الشكلي بين التناقضات الداخلية للنفس في محاولةٍ للوصول إلى حالةٍ من الاتزان بين العقل والروح المنطلقة أحياناً والسَّجينة أحياناً أخرى.

2. مشكلة البحث:

هناك نقطة لابد أن تكون محل دراسة في منظومة الإبداع الكبيرة والواسعة وهي وجود علاقة كبيرة بين ألم الفقد والمعاناة والإنتاج الفني حيث إنَّ كل هذه المُعَوِّقات قد تكون مُحَفِّزَاً كبيراً لعملية الإبداع .

لذلك يسعى هذا البحث إلى فهم العوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر على الإبداع، وكيف يُمكن للتجارب الشخصيَّة أن تُشكِّل رؤية الفنان وتُحَدِّد الطُرُق التي يستخدمها للتعبير عن معاناته، مما قد يوفر أدوات جديدة للأفراد للتعبير عن مشاعرهم.

3. أهداف البحث:

1. دراسة تأثير عملية الفقد، التي يتعرَّض لها الفنان، على اختيار رموزه وأشكاله الخاصة.
2. إبراز دور الفقد في بلورة الفكرة العابرة فتكون أكثر فرديَّة وشخصيَّة وتصبح أكثر نضجاً.
3. إظهار دور الفنانين في مساعدة المُتَلَقِّي على فهم مشاعر الفقد والتعبير عنها.

4. أهميَّة البحث:

1. التجارب الفنية شديدة الخصوصية لدى الفنان وهي وليدة أحداثه وتجاربه وتركيبته النفسية التي تؤثر فيما يُقَدِّمه من إبداع.
2. يُعَدُّ العمل الفني تعبيراً عن الذات بما تحمله من صراعات وأوجاع حيث تكشف الأعمال الفنية عن جوانب دفينة في شخصية الفنان.
3. الفقد هو شعور إنساني عميق يمسُّنا جميعاً. فالفن التشكيلي بكل أدواته وتقنياته يُصبح لغةً للتعبير عن ألم الفقد، وتحويله إلى أعمال فنية تلامس أعماقنا.

5. تساؤلات البحث:

1. هل وجود الألم شرطاً لعملية الإبداع؟
2. هل تكشف الأعمال الفنية عن دواخل الفنان ومقاصده في العملية الإبداعية؟
3. كيف يُعَبِّر الفنانون التشكيليون عن الفقد؟
4. لماذا يُعَدُّ الفن وسيلة للتعبير عن الفقد؟

6. منهجيَّة البحث:

اتَّبَعَت الباحثة المنهج التحليلي الوصفي لعددٍ من الأعمال الفنيَّة الحديثة والمعاصرة، بالإضافة إلى عددٍ من أعمال الباحثة.

7. حدود البحث:

1.7. حدود زمنية: التصوير في العَصريْن الحديث والمعاصر

1.7. حدود مكانية: بلجيكا – إنجلترا – مصر

8. الدراسات السابقة المرتبطة بالبحث:

1.8. أثر الموت في التصوير المصري: السعيد محمد رستم محمود، رسالة دكتوراة، جامعة الإسكندرية، 2002.

تحدَّثت هذه الرسالة عن أثر الموت على الفن المصري القديم وظهور فكرة الدين وطقوس الحياة والفن والفلسفة ثم تناولت النصوص الجنائزية لكتاب "الموتى"[2] عند المصريين القدماء من حيث تحليل المفردات التصويرية التي استخدمها المصري القديم كرموز ودلالات حياتية للحياة الأخرى في العالم السفلي.

يتشابه هذا البحث في دراسة أثر الموت على الفنون التصويرية. ويختلف في أنَّ الباحثة تناولت الفنون الحديثة والمعاصرة لأثر الفقد على الفن المعاصر.

2.8. الاضطراب النفسي وأثره على التجربة الإبداعية لبعض مُصَوِّري القرن العشرين: سمر السيد أحمد البراوي، رسالة ماجيستير، جامعة الإسكندرية، 2015.

تناول هذا البحث تفسيراً لأثر الاضطرابات العقلية والنفسية على فناني التصوير الحديث وعلى العملية الإبداعية ككل من حيث اللون والمفردات فكان محاولةً لفهم الصِّلَة بين الإبداع والإضطراب النفسي كما تَضَمَّنَت شرحاً لمصادر إلهام المُبدِع.

يتشابه هذا البحث مع عيِّنة الفنانين الذين عانوا من الفقد. ويختلف البحث مع هذه الدراسة في عدم ضرورة وجود مرض عقلي أو نفسي لدى الفنان وإنَّما التركيز هنا كان مُنصَبَّاً على مَن عانوا ويلات الفقد وأثر ذلك على أعمالِهم الفنية.

3.8. الرمزية المُظلِمَة "الديستوبيا" في التصوير الحديث والمعاصر: مروة إسماعيل عبد الحكيم، رسالة دكتواة، جامعة الإسكندرية، 2020.

تحدَّثت هذه الرسالة عن مفهوم "الديستوبيا" وهي المدينة البائسة أو الواقع المرير، وتَتَبَّعَت التغيُّرات التي أصابت لوحات الفنانين لموضوع الموت الذين قاموا بتجسيد حالات المجتمع من معاناة الحروب والأمراض والصراعات وكيف رأوا العالم بأعينهم واستكشاف صور الموت الجديرة بالدراسة والملاحظة.

يتشابه البحث مع هذه الرسالة في دراسة أثر الموت على الأعمال الفنية. ويختلف عنها في عدم التركيز على الجانب المرير أو المأساوي في تناول الموضوعات ولكن إظهار أثر الفقد على أجواء العمل الفني وموضوعاته والألوان المستخدمة في مجملها.

9. طرق التعبير الفنية المختلفة عن ألم الفقد

1.9. الرمزية: استخدم الفنانون الرموز والأشكال والألوان لترجمة شعور الفقد إلى لغة بصرية مفهومة، فمثلاً قد يرمز اللون الأسود للحزن، والخطوط المنحنية للوحدة، والشكل المكسور إلى الانكسار النفسي.

2.9. التشويه والتعبيرية: يلجأ العديد من الفنانين إلى تشويه الأشكال وتضخيم العناصر لإيصال رسالة قوية حول معاناة الفقد، فالتشوُّهات في الوجوه والأجساد تعكس الاضطراب الداخلي الذي يعيشه الفرد.

3.9. الواقعية: يرسم بعض الفنانين لوحات واقعية تُصَوِّر لحظات الفقد المؤلمة، مثل الجنائز والمواقف الحزينة، بهدف إثارة التعاطف مع المعاناة الإنسانية.

4.9. التركيز على التفاصيل: يهتم بعض الفنانين بتفاصيل المشهد، مثل الأشياء الشخصية التي تركها المفقود، لخلق جو من الحنين والشوق إلى الماضي.

5.9. الاستعانة بالطبيعة: تُستخدَم الطبيعة في كثير من الأعمال الفنية للتعبير عن الفقد، فالشمس الغاربة قد ترمز إلى نهاية الأمل، والأشجار المتساقطة إلى الزوال.

[2] كتاب الموتى هو مجموعة من الوثائق الدينية والنصوص الجنائزية التي كانت تُستخدَم في مصر القديمة، لتكون دليلاً للميت في رحلته للعالم الآخر، أُستخدمت من بداية العصر الحديث للدولة المصرية القديمة إلى حوالي 50 قبل الميلاد، وهو يُعَدُّ أقدم كتاب انتهى إلينا علمه، دُوِّنَ في عصر بناء الهرم الأكبر، ولا تزال نسخة منه محفوظة في المتحف البريطاني. نورالدين خليل (2008). قاموس الأديان الثلاثة الكبرى. مراجعة: محمود آدم. الإسكندرية: مؤسَّسة حورس الدولية للطباعة والنشر. ص. 99

10. أثر الفقد على أعمال فناني الغرب

1.10. رينيه ماجريت Rene Magritt (1898-1967) وتجربة فقد (الأم)

تمتلئ لوحات ماجريت بالرموز والألغاز التي تدعو المتلقي إلى التفكير والتأمُّل، فعلى سبيل المثال قد تمثل سماء مظلمة غياب الأمل، أو قد يرمز باب مغلق إلى فقدان فرصة. يستكشف ماجريت أعماق اللاوعي البشري حيث تكمن مخاوفنا وأحلامنا وأشواقنا، ويقدِّم لنا رؤية جديدة للعالم من حولنا، مما يُساعِدنا على فهم أنفسنا بشكل أفضل. يستخدم ماجريت اللغة البصريَّة بطريقة مُبتَكَرَة ليُعَبِّرَ عن أفكار مُعَقَّدَة، فلوحاته ليست مجرد صور جميلة، بل هي أعمال فنية تحمل في طيَّاتها رسائلَ عميقة.

يُعَدُّ رينيه ماجريت كالساحر الذي حوَّل لوحاته إلى ألغاز بصرية حيث استطاع أن يمسك بواحدة من أعمق مشاعر الإنسان وهوالشعور بالفقد. ففي عالمه الفني الغريب تطفو الأشياء اليومية في فضاءات غير متوقَّعَة، فتجد نفسك أمام مرآة تعكس فقدان ما هو مألوف والحنين إلى ماضٍ لم يَعُد موجوداً. يُصَوِّر الفنان أشياء مألوفة ولكنها غائبة عن مكانها الطبيعي، قد ترى تفاحة مُعَلَّقَة في سماء خالية، أو وجهاً بشرياً يحل محل قمر مكتمل، هذا التناقض الصارخ يُثير تساؤلات حول ماهية الغياب، وكيف يؤثر على إدراكنا للواقع وعلى العملية الفنية. فهو يرسم أشياء تبدو واقعية تماماً، ولكنها في الوقت نفسه تحمل طابعاً سحرياً وغير منطقي، وهذا التناقض يعكس الصراع الداخلي الذي نشعر به عندما نفقد شخصاً عزيزاً.

كانت والدة الفنان رينيه ماجريت تحمل أفكاراً وميولاً انتحاريَّة ، مما دفع زوجها -والد ماجريت- إلى حبسها في غرفتها، وفي أحد الأيام هربت الأم وعُثر عليها ميتة في نهر قريب، بعد أن ألقت بنفسها فيه. كان ماجريت يبلغ من العمر في ذلك الوقت 13 عاماً وكان موجوداً في ذلك الوقت عندما انتشلوا الجثة من النهر ليجدوا فستانها قد غطَّى وجهها، وأصبح ذلك فيما بعد موضوعاً في العديد من لوحات ماجريت في القرن العشرين، حيث كان يُصَوِّر أشخاصاً دون إظهار وجوههم.[3]

في لوحة (المحبين) يُلامس وجه الرجل وجه المرأة، وهي مُصَوَّرَة من كتفيها ورقبتها ورأسها ونظرتها مُوَجَّهَة إلى رأس الرجل، فتظهر في حالة حب. يظهر الشخصان أيضًا مرتفعين وظهريهما إلى مشهد الخلفية. لف القماش الزائد خلف أكتافهم لإخفاء وجهيهما. إن ضيقه الخفيف على وجوههم يترك آثارًا على ملامح وجوههم مثل أطراف أنوفهم والمسافة البادئة في مكان عيونهم. أفواههم مغلقة في شكل قبلة، ولكن القبلة مغطاة، ويبدو أنَّ المرأة الموجودة على اليسار ترتدي بلوزة (أو فستانًا) أحمر بدون أكمام مع زركشة بيضاء رفيعة على طول حواف الأكمام ومنطقة الياقة. الرجل الموجود على اليمين يرتدي بدلة سوداء، تحت بدلته قميص أبيض وربطة عنق سوداء، يبدو أنهما يقفان في الجانب الجانبي، مما يعني أننا، المشاهدين، يمكننا رؤيتهما من جانبهما شكل(1).[4]

شكل(1)

رينيه ماجريت - المحبين - زيت على توال - 1928

[3] https://www.moma.org/artists/3692

[4] https://artincontext.org/les-amants-by-rene-magritte

في لوحة **(فريد من نوعه)** يُصَوِّر ماجريت رجلًا واقفًا من ظهره ناظراً للمرآة، ولكنه يظهر في المرآة بظهره، ولا يظهر وجهه. قد يُشير عنوان العمل هنا إلى عملية التكاثر البشري فهو أمر مثير للاهتمام بالنسبة للفنان، يرى أننا نفكر في التكاثر كشيء يخبرنا بحقيقة أنفسنا؛ فهناك نسخة متفردة من كل شخص غير قابلة للتكرار. كل هذا يلعب دوراً في الصورة التي نراها في هذه اللوحة. شكل(2).[5]

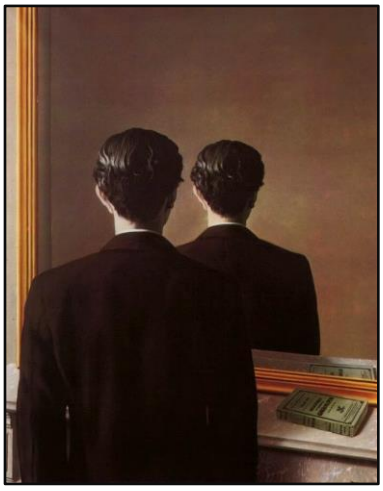

شكل(2)

رينيه ماجريت - فريد من نوعه - 1937

قام الفنان بتصوير رجل يرتدي قبعة مستديرة في العديد من لوحاته، عندما نتأمَّل اللوحة وتفاصيلها نجد وجه الرجل مُغَطًّى تماماً كما لو أنَّ الطائر دخل العمل وقت التقاط الصورة. يطير الطائر من يسار الرجل إلى يمينه باتجاه الضوء، نحن لا نرى عيون الرجل ولكننا نرى عين الطير اليسرى. وربطة عنق الرجل لونها وردي شاحب مقارنةً بربطة العنق الحمراء الزاهية التي تظهر في لوحته (ابن الإنسان) عام 1964. وعلى عكس تلك اللوحة، فإنها لقطة قريبة "لِكَتِف" الرجل. انظر إلى الخلفية الزرقاء خلفه؛ نحن لا نعلم هل هذه هي السماء أم أنه يجلس أمام خلفية صورة. شكل(3)[6]

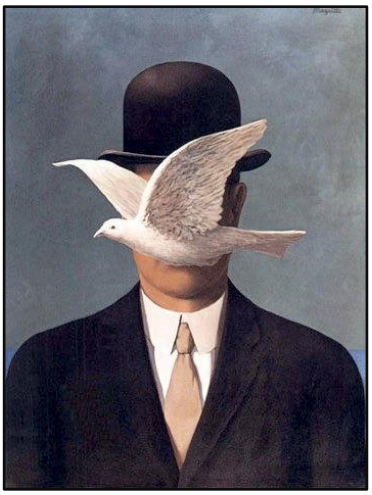

شكل (3)

رينيه ماجريت - رجل يرتدي قبعة - زيت على توال - 1964

[5] https://www.renemagritte.org/not-to-be-reproduced.jsp
[6] https://www.renemagritte.org/man-in-a-bowler-hat.jsp

2.10. فرانسيس بيكون Francis Bacon (1909-1992) وتجربة فقد (الجنود) في الحرب العالمية الثانية

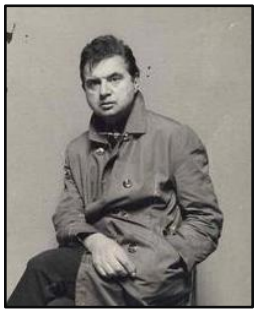

يُعَدُّ الفنان فرانسيس بيكون من أهم الفنانين التشكيليين ذوي الشهرة الواسعة. هَجَرَ أسرته في السادسة عشرة من عمره ليطوف بأرجاء ألمانيا وفرنسا وبريطانيا قبل أن يستقرَّ في لندن حيث تَجَلَّت موهبته. وقد زارَ العديد من المعارض، وفي باريس انقلبت حياته رأساً على عقب عند مشاهدته أعمال بيكاسو وفناني المدرسة التكعيبيَّة، ذلك لأنَّ الأعمال التي أنجزها في السنوات التي أعقبت هذه الزيارة تعكس مدى تأثره بالسريالية وبالتكعيبية التركيبية وفروعها.[7]

يُشير بيكون في أكثر من موضع إلى أنَّ حياته المبكرة المضطربة كانت وراء العنف الزائد في لوحاته؛ إذ نشأ على أنقاض الحرب العالمية الأولى في وقتٍ كان فيه منزله بالقرب من تمركز الجنود البريطانيين، كما كان والده يشغل وظيفة في مكتب الحرب إبَّان الحرب العالمية الأولى، وهو ما كان له بالغ الأثر على نشأة هذا الفنان وسط تهديدات الحرب وويلاتها من كل جانب. إلا أنَّ العنف والنظرة السوداوية للإنسانية قد تأصَّلا فيه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.[8]

قام بيكون بالتطوُّع في الدفاع المدني أثناء الحرب العالمية الثانية؛ إذ كان مسئولًا عن المهام التي تشمل مكافحة الحرائق والإنقاذ المدني واستعادة جثث الموتى. وبعد فترة من الوجود في شوارع مليئة بالرُّكام والجثث، استقال بيكون عام 1943، بعد أن تفاقمت حالة الربو لديه، ليترك الحرب ويعيش داخل كوخ مستأجَر صغير؛ إلَّا أنَّ الحرب لم تتركه بل تَوَغَّلت داخل روحه، وبدأت تشوُّهاتها في الانتقال إلى لوحاته.

كان تصوير بيكون للأطراف الملتوية والأفواه المنفتحة والدماء بمثابة وسيلة لاستكشاف العدمية والموت في وقتٍ تعرَّضت فيه أوروبا مراراً وتكراراً للحرب الوحشية. مستوحياً من روَّاد المدرسة السريالية، أنتج بيكون العديد من اللوحات المستندة إلى أعمال الرسامين الآخرين. قال ذات مرة: "أشعر بقوة أنَّ الفنان يجب أن يستوحِي من تعاسَتِه ويأسِه. فتلك المشاعر أكثر فائدة للفنان من شعورِه بالرِّضَا، لأنَّ اليأس والتعاسة يتوغَّلان في وجدانه أكثر من أي مشاعر أخرى."[9]

أما بدايته الحقيقيَّة كفنان تشكيلي فقد كانت من خلال معرض أقامه عام 1944، بعنوان «دراسة ثلاثية لشخصياتٍ مصلوبة»، كان هذا هو العمل الذي تبلورت فيه شخصية "بيكون" الذي أصبح واحدًا من أعظم فناني القرن العشرين؛ إذ استعرض فيه لوحاته مجموعة من رقابٍ طويلة، وأفخاذٍ ذات فمٍ صارخ، وأجسادٍ ملوَّنة، لتجسِّدَ الألم والمعاناة؛ وهو ما كان بمثابة تعليقٍ قويٍّ على حالة ما بعد الحرب. وعلى الرغم من صدمة النقّاد من المحتوى، فإنَّ الجدل قد وضعه في دائرة الضوء.

شكل(4)

فرانسيس بيكون - ثلاث دراسات للأشكال الموجودة عند قاعدة الصليب -زيت وباستيل على توال - 1944

[7] Toyne, Anthony. (1993). ***Oxford Illustrated Encyclopedia***. Oxford University Press.
[8] https://www.tate.org.uk/art/artists/francis-bacon-682
[9] https://www.artnet.com/artists/francis-bacon/7

تُصوّر اللوحة ثلاثة مخلوقات مُجَسَّمَة تتلوَّى على خلفية برتقالية محترقة مُسَطَّحَة تُلَخِّص الثلاثية الموضوعات التي سادَت في أعمال بيكون السابقة وتفسيراته؛ فقد قام بتحقيق درجات اللون الباهتة للأشكال من خلال تراكب ضربات الفرشاة باللونين الرمادي والأبيض، بينما لَوَّنَ دعائم الأشكال باستخدام مجموعة متنوعة من درجات اللون الأصفر والأخضر والأبيض والأرجواني. شكل(4)[10]

رَسَمَ بيكون فم الشخصية المركزية مباشرةً على رقبتها، وليس على وجه مميز فهو يكشف عن أسنانه كما لو كان يصرخ، وهو معصوب العينين بضمادة قماش متدلية. يواجه هذا المخلوق المشاهد مباشرةً ويتمحور حول سلسلة من الخطوط المتقاربة التي تُشِع من قاعدة الأرضية. فمه مفتوح إلى درجة لا يُمكن أن تصل إليها جمجمة الإنسان. استخدم بيكون هذا اللون بالفعل في لوحتين سابقتين ويُمكن أن تتميز أعماله بفترات يُهيمن عليها لون خلفية واحد. منذ بداية حياته المهنية، فضَّل بيكون العمل بالمسلسلات ووجد أن خياله يحفز بالتسلسلات؛ وعلى حد تعبيره، "الصور تولد صوراً أخرى في داخلي.[11]

كان فرانسيس بيكون هو الفنان الذي قَدَّم أسوأ أخبار العالم الحديث عبر فنه، تلك اللوحات المُستقاة من الصور المروِّعة لقتلى الحرب الذين تعدَّت أعدادهم الملايين، وروايات القتل الجماعي داخل الاتحاد السوفيتي؛ إذ كان هو الفنان الوحيد الذي لم يُعمِهِ الانحياز لأيِّ طرفٍ عن الواقع، فقدَّم عام 1948 لوحة بعنوان "الرأس الأوَّل"، والتي خرجت لوحةً مروعةً تحكي قصَّة الإنسانية كما رآها وجهاً مشوَّهاً ممزوجاً برأس قرد البابون المفترس، والتي أراد من خلال الرعب الكامن فيها إظهار ما يُمكن أن تفعله اللوحة في عصر التصوير الفوتوغرافي. شكل(5)[12]

شكل(5)

فرانسيس بيكون - الرأس الأوَّل - 1948

11.أثر الفقد على أعمال الفنانين المصريين

1.11. سيف وانلي Seif Wanly (1906-1979) وتجربة فقد (الشقيق)

محمد سيف الدين إسماعيل محمد وانلي، فنان تشكيلي مصري من مواليد الإسكندرية، درس الفن في مدرسة حسن كامل عام 1929 التي سُمِّيَت فيما بعد الجمعية الأهلية للفنون الجميلة بالإسكندرية. كان هو وأخوه الأصغر أدهم وانلي أول تلميذين ينتظمان في مرسم الفنان "أتورينو بيكي Ottorino Bicchi"[13] وبعد رحيل بيكي افتتحا مرسماً خاصاً بهما لتعليم الرسم في 18 يونيو 1935.[14]

سيف وانلي، اسمٌ بارز في ساحة الفن التشكيلي المُعَاصِر، يتميَّز بأسلوبه الفريد الذي يجمع بين التجريد والتعبيرية. واحدة من أبرز المراحل في مسيرته الفنية هي ما يُطلق عليها "المرحلة الرمادية". هذه المرحلة تمثل تحولاً هاماً في أعماله، حيث استخدم وانلي اللون الرمادي بطريقة كثيفة ومؤثرة، ليعكس حالته النفسية حينها ولكي يُعَبِّر عن أفكار فلسفية عميقة.

---

10 Harrison, Martin. (2005). *Sutherland and Bacon: A Story of Friends Disuniting*. The Art Newspaper, Published: September 1, 2005. Retrieved: December 30, 2021.

11 Chilvers, Ian. (1999). ***A Dictionary of Twentieth-Century Art***. Oxford University Press, p. 46

12 https://www.metmuseum.org/art/collection/search/494826

13 أحد الفنانين الإيطاليين الذين كانوا يعيشون في مدينة الإسكندرية حينها، وهو رسام معروف بمهارته في رسم البورتريهات الشخصية وغالبية أعماله هي تمثيل لمشاهد من الحياة الإيطالية، بما في ذلك الريف والمناظر الحضريَّة والديكورات الداخلية للمنازل وورش العمل. كان لديه اهتمام خاص بالتقاط لحظات تعاقب الضوء والظل على العناصر، وتتميز لوحاته بالألوان النابضة بالحياة وفرشاة الرسم المفعمة بالحيوية. راجع:
https://web.archive.org/web/20081216015751/http://www.archividelnovecento.it/

14 قطاع الفنون التشكيلية: السيرة الذاتية لأدهم وانلي. منشور في 14 ديسمبر 2017. اطَّلَعَت عليها الباحثة بتاريخ 15 سبتمبر 2024.

تأثير وفاة أدهم وانلي على سيف وانلي وإنتاجه الفني

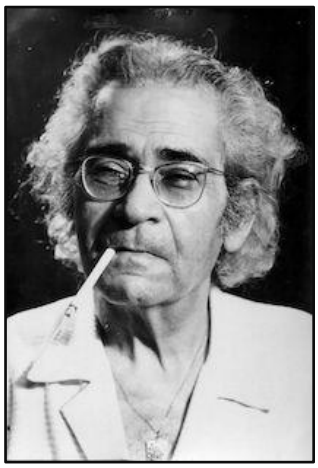

تُعَدُّ وفاة الفنان التشكيلي المصري أدهم وانلي، شقيق الفنان سيف وانلي، حدثاً مفصلياً في حياة الأخوين وانلي وفي مسيرة كل منهما الفنية. لقد تركت هذه الوفاة أثراً عميقاً على سيف وانلي، انعكس بشكل واضح في أعماله الفنية خلال الفترة التي تلت وفاة شقيقه. بعد وفاة أدهم واصل سيف هذا الطريق مستخدماً اللون الأسود ودرجاته، حتى يُمكِن تسمية هذه الفترة "المرحلة الرماديَّة". شعر سيف بحزن عميق لفقدان شقيقه وصديقه المُقَرَّب، الذي كان يُشَكِّل معه ثنائياً فنياً متميزاً. انعكس هذا الحزن بشكلٍ واضحٍ في لوحاته، حيث ظهرت ألوان أكثر قتامة. شعر سيف بمسؤولية كبيرة للحفاظ على تراثهما الفني المشترك. فقد كان عليه مواصلة مسيرته الفنية بمفرده، وتحمُّل مسؤولية الحفاظ على اسم عائلة وانلي في عالم الفن.[15]

شهدت أعمال سيف وانلي بعد وفاة شقيقه تحولًا ملحوظًا في الأسلوب. فقد انتقل من التركيز على المناظر الطبيعية والأشكال الهندسية إلى أعمال أكثر تجريدية وتعبيرية، تعكس حالة نفسية مُعَقَّدَة. فالمرحلة الرمادية في أعمال وانلي ليست مجرد استخدام للون رمادي فحسب، بل هي حالة نفسية عميقة كان لها أثرها على أعماله الفنيَّة. الرمادي هنا ليس مجرد لون بل هو غياب اللون، هو منطقة الظل والضوء، هو التلاشِي والتداعِي حيث اللون الرمادي المُسَيْطِر والأساسي في لوحات هذه المرحلة ويظهر في درجات متفاوتة من الفاتِح إلى الغامِق. أصبحت هذه الألوان الرماديَّة هي السائدة في لوحات سيف وانلي بعد وفاة شقيقه، تعبيرًا عن الحزن واليأس، وبدأت تظهر أشكال مُجَرَّدَة غريبة في لوحاته، تعكس شعوره بالاضطراب والقلق الناتجة عن حالة الفقد التي يعيشها. كما بدأت تظهر أجواء حالمة في بعض لوحاته، تعكس رغبة الفنان في الهروب من الواقع، كما تميَّزت أعماله في تلك المرحلة بالخطوط التعبيرية السريعة التي تعكس حالة من العفويَّة والتلقائيَّة، وتُبرِز المشاعر الداخليَّة للفنان، فأعمال هذه المرحلة تتجاوز الوصف الواقعي لتصل إلى أعماق النفس البشرية. شكل(6)

شكل(6)

سيف وانلي - صورة شخصية - ألوان زيتية - 1959

شكل(7)

سيف وانلي - وجه امرأة - 1960

المهم عند وانلي هو ما يهدف إليه، فهو يرسم الوجه الذي أمامه لكي يكشف بطريقة صريحة عن شخصية لها أوصافها الخاصة ومميزاتها الذاتية. من أعماله لوحة الفرسان الثلاثة و التي صَوَّرَ فيها أدهم و سيف و فهمي صديقهما، رسمها بألوان زيتية على سيلوتكس عقب وفاة فهمي 1961، و هكذا عبَّر سيف عن حزنه و ألمه لفقد أخيه ثم زميله في أقل من عامين، مستخدماً الألوان الباردة الزرقاء و الخضراء تعبيراً عن برودة الوحدة والإحساس بالوحشة.شكل(8)

[15] كمال الملاخ: سيف و أدهم وانلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص44-65

في لوحته "صورة شخصية" صَوَّرَ سيف وانلي نفسه مرتدياً ثوباً داكناً ونظارة طمست عيناه في أجواء ضبابية تكسوها مساحات رمادية زرقاء ورمادية خضراء وكأنها مستترة خلف زجاج به خربشات، مُعَبِّرَاً عن شعوره بالاغتراب والوحشة لفراق أخيه. فقد انفرد بمجموعة لونية صار يُحَلِّق بها إلى عوالم لا يراها رؤية العين وإنَّما يحس بها إحساس الفنان الأصيل دون أن يُقَلِّدَ أحداً، أو يتبع طريقاً سبقه إليه غيره من أهل الفن. [شكل(9)] بينما في لوحة "وجه امرأة" [شكل (7)] ولوحة "عازفة الكمان" [شكل (10)] نستشعر فيهما براعة سيف وانلي في اختزال الأشكال وتلخيصها في مُسَطَّحَات شِبه هندسيَّة تُذكرنا بالمدرسة التكعيبيَّة، ولم يكن سيف ينقل الملامِح كما هي ولكنَّه كان قادراً على ابتداع ملامِح يُمكن وصفها بأنَّها تتعادل مع المدلول الذي يحمل صفات الشخصية أو نوع وجدانيتها وعقلانيتها ومميزاتها. ففي أغلب الأحيان اختارَ الأسلوب الفني الذي يؤدِّي إلى الكشف عن مميزات الشخصية التي يرسمها؛ فعندما يرسم وجهاً إنسانياً يستطيع أن يتخلَّص من ذاته وأن يرى ذلك الوجه من بعيد طوال فترة الرسم.[16]

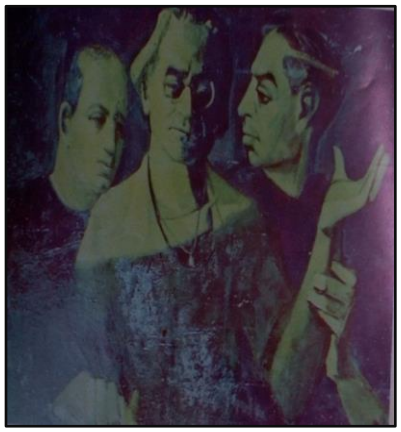

شكل(8)

الفرسان الثلاثة-ألوان زيتية على سيلوتكس-1961

شكل(9)

صورة شخصية-1961

شكل(10)

عازفة الكمان-1963

في مرحلةٍ من فَنِّه سَادَت لوحاتَه نظرةٌ المتأمِّل الصامِت الذي يتجه بأنظاره إلى السماء بعد أن كانت مُقَيَّدَة بالأرض، في هذه المرحلة تضاءَلَ حجم العناصر في لوحاته، وانكمش الإنسان فبدا صغيراً، وأمام تلك اللوحات نحس أننا ننظر إلى الكون من ارتفاعٍ شاهقٍ، نظرة فيها الشمول والامتداد دون أي تعالي على الإنسان، فهو يظل محور العمل الفني في تلك اللوحات، لكن الفنان يضعه في حَجمه الطبيعي بالنسبة للفضاء واتساع الشاطئ ولانهائية البحر، ورغم هذا ظلَّ الإنسان بؤرة العمل الفني ومحوره اللافت للنظر. شكل(11)

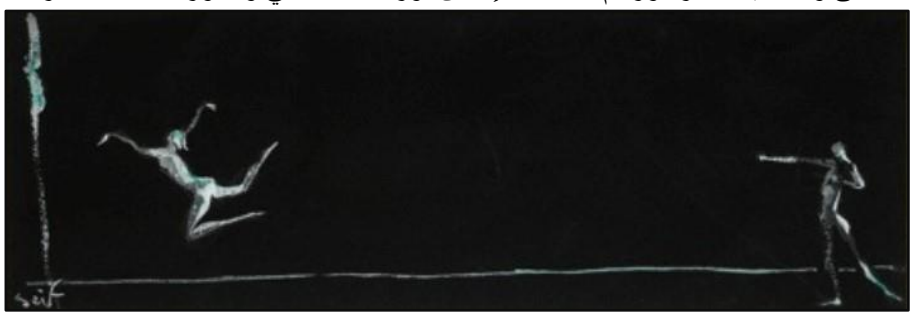

شكل(11)

سيف وانلي - زيت على ورق – 1964

[16] إيميه آزار، **التصوير الحديث في مصر**، ترجمة نعيم عطية ، إدوار الخراط ؛ مراجعة إدوار الخراط، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 71-75

2.11. سُمَيَّة الحَدَّاد وتجربة فقد (الأم والأخت)

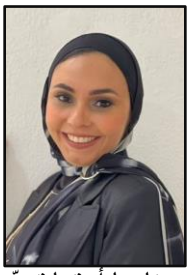

سُمَيَّة خليل الحَدَّاد من مواليد أبوظبي 1980، حصلت على بكالوريوس الفنون الجميلة من جامعة الإسكندرية عام 2003، شاركت في العديد من المعارض المحليَّة الجماعيَّة والفرديَّة؛ من معارضها الخاصَّة (وجوه) عام 2014، (حلم) عام 2017، (ظلال الخوف والأمل والرجاء) عام 2020، (اللعبة) عام 2021، (روح) عام 2023، وآخرها معرض استيعادي بمتحف محمود مختار التابع لقطاع الفنون التشكيلية.

قامت الباحثة بدراسة لسلسةٍ من أعمالها التي اتخذت رموزاً شديدة الخصوصيَّة والذاتيَّة المتأثرة بفقد أحبَّتها في صورةٍ يملؤهَا الحب والأمل. ففي معرضها (اللعبة) صَوَّرَت العرائس من الألعاب المُهداة من والدتها (التي توفَّت لاحقا) في موضوعات مختلفة نسجتها من وحي خيالها وخصوصاً بعد لحاق أختها بوالدتها أيضاً فيما بعد. رأت في منامها أختها تودّعها مرتديةً فستاناً أبيضاً فَسَجَّلَت الحلم في هيئة اللعبة العروس وهي تطير في أجواء حافلة بالورود والزهور فقد رأتها وقد رَحَلَت إلى عالمٍ جميلٍ يملؤه النقاء. شكل(13)

تقول الفنانة عن أعمالها:"قمت بتصوير الروح التي جاءت في شكل عرائس بملابس منقوشة وشعور طويلة، تُمَثِّل تلك العرائس أرواح من فقدتُهُم من أحِبَّتي: أمّي وأختي، تزفهم الطيور والعصافير والورود ليقيني التام بوجودهما في عالمٍ آخر ساحِر مليء بالرَّاحة والبهجة بعيداً عن دنيانا المُظلمة القاسية، تاركين بصيصاً من الأمَل في إمكانية اللحاق بهم والإِئتِنَاس بهم مرةً أخرى" سُمَيَّة الحَدَّاد 2023.

شكل(12)

سُمَيَّة الحَدَّاد - ألوان أكريليك على خشب -2022- 80x60سم

شكل(13)

سُمَيَّة الحَدَّاد - ألوان أكريليك على خشب -2021- 50x100سم

3.11. مروة إسماعيل Marwa Ismail وتجربة فقد (الأم)

مروة إسماعيل فنانة تشكيلية سكندريَّة تخرَّجت من كلية الفنون الجميلة عام 2011. شغلها كثيراً التمثيل الواقعي لشخوصها في أجواء وملابس مختلفة، كما قامت بتصوير والدتها في وضعيات كثيرة مليئة بالدراسات الأكاديمية، وظلَّت في هذه التجربة إلى أن فقدت والدتها التي تشاطرها الحياة في كل تفاصيل يومها، وعَبَّرَت عن هذا الفقد المؤلِم بعددٍ من الأعمال التي صَوَّرَت رحلة مرض والدتها، ثم وفاتها، وتأثير ذلك على أعمالها الفنيَّة.

إنَّ تصوير الموت في الفنون والأعمال المختلفة من الأشياء التي لفتت انتباه الفنانة، فحاوَلَت خلق أكوان أسطورية يملؤهَا الجمال والرُّعب معاً، لتخترق عمق الطبيعة البشريَّة فتصوِّر أفكار الخوف والشكِّ أو عدم الاكتراث والشعور بقيمة الحياة وعدم أهميتها في الوقت ذاته. تتألف معظم أعمالها من مجموعات بشريَّة أو عنصر بشري منفرد ولكن في شكل مختلف يبعث على الشعور بالخوف والقلق تارة، وبالرَّغبة في التأمُّل تارةً أخرى، فهي تحاول أن تتأمل المفاهيم الجمالية والروحانية عن الحياة والموت، وتُريد أن تستخلص من فنها ما يُمكن أن يتجاوز الحدود الزمنية من خلال التلميح إلى عالم يتجاوز المادة. تهتم أعمالها بالموضوع الإنساني المتمثِّل في المعاناة والألم حيث يتم التركيز على البُعد الإنساني المُحَمَّل بالمشاعر المختلطة كالغضب والحزن والحنين والألم، ومعظم الصور تظهر بها وجوهاً مأساوية يظهر بها الكثير من الألم والكرب. شكل (14)

كما تحاول الفنانة في أعمالها خلق عالمٍ من القصص الخيالية المظلمة تحكمها الواقعية الساحرة حيث تتضمَّن صُوَراً لمخلوقات بأسلوب كلاسيكي وسط مناظر طبيعية أومشاهد داخلية بإضاءات خافتة ضبابية برغم دفئ الألوان في أجزاء العمل في محاولةٍ منها لاستكشاف الطبيعة المُعَقَّدَة لفكرة الموت والوجود الإنساني التي غالباً ما يكون فيها الجمال والرعب مرتبطين ببعضهما. فهي بشكل عام تميل إلى الوقوع في الواقعية الخيالية وعالم الفن المظلم حيث يتم إنتاج أعمال فنية رمزيَّة تسمح للناس بالغوص في أعماق اللوحة وإنشاء تفسيرهم الخاص من عجب أو خوف أو حزن.

شكل(14)

مروة إسماعيل - زيت على توال - 2023

شكل(15)

مروة اسماعيل - زيت على توال – 2023

4.11. بانسيه أحمد Pance Ahmed وتجربة فقد (الصديقة)

بانسيه أحمد فنانة تشكيلية سكندريَّة تخرَّجت من كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية عام 2014، شاركت في العديد من المعارض المحليَّة وأقامت معرضها الفردي، ثمَّ معرض "اشتباك" بالاشتراك مع زوجها الفنان السكندري "عُمَر سنادة". تتحَّدث أعمال الفنانة عن المدينة وتأثُّر المساحات الخضراء بالزَّحف العمراني فنرى في أعمالها دمجاً بين العناصر الناعمة والمتناغمة من النباتات والحضور الخطي الواضح لدخول المباني والأرضيات في مسارات خطيَّة تخضع لقواعد المنظور الخَطِّي، فتدمج ما بين الإيقاعات الخطيَّة الهندسيَّة والخطوط النباتيَّة العضويَّة.

تأثرت أعمالها الأخيرة بشعور الفقد الذي انتابها عقب وفاة صديقتها المُقَرَّبَة، فَصَوَّرَت شكل المقبرة من وحي وجودها بالحدث، وتخيَّلت الحياة الأخرى كمُستَقَرٍّ آمِنٍ يحتضن روح صديقتها، تملؤه النباتات، وعَبَّرت عن هذه الروح التي ذهبت في سنٍّ صغيرة لا تتجاوز الثلاثة والثلاثين في شكل زهرةٍ بيضاء نقيَّة تمركزت في العمل.

أنتجت الفنانة نماذج الأعمال المُشار إليها عقب الوفاة مباشرةً فصَوَّرَت الفنانة مشاهد لا تستطيع أن تتخطَّاها فهي تُسيطر طيلة الوقت على أفكارها، فأرادَت أن تُفرغ هذه الشُّحنة الحزينة في أعمالها؛ لذلك قامت برسم مشهد المقبرة ووردة كبيرة الحجم على سرير المستشفى الذي

كانت ترقد فيه صديقتها أثناء مرض الموت بجانبه شكل شاشة المونيتور والأسلاك، كما قامت برسم الأشجار الموجودة في مكان المقابر والطريق المُؤَدِّي إلى مكان صديقتها، حيث كانت الفنانة تتعرَّض لهذه المشاهد بكثرة في كل زيارة. شكل(16)

وعن العمل الكبير الذي سادته أجواء ضبابية كما حدث في الواقع وقت الدفن، يتوسَّط العمل زهرة البانسيه بجانب ظلِّ رَجُل، وفي الأسفل إلى جانب مشاهد النباتات يوجد ظلال عديدة تمثيلاً لشخوص واقفة تُمَثِّل أصدقاء الفنَّانة وزوجها وقت توديع روح صديقتهم الغائبة في ذلك الوقت، والزهرة البيضاء الكبيرة موجودة على سُلَّم يتَّجِه إلى مكان غير معلوم ولكنه بالتأكيد أكثر طمأنينة واستقراراً والعمل ككل هو محاكاة ليوم الوفاة. فالشفافيات في الخلفيَّة والخطوط البيضاء المتجهة في جميع أجزاء العمل تمثل حالة من السكون عايشتها الفنانة، فبالرغم من ازدحام المكان، فإنَّ جميع الأصوات في أذنها سكتت لتسمع صمت صديقتها التي رَحَلَت وَرَحَلَ جزءٌ من روح الفنانة معها وتَجَمَّدَت اللحظة لتصفها بأنها بداية النهاية لحياةٍ أجمل تخلو من أوجاع المرض. شكل(17)

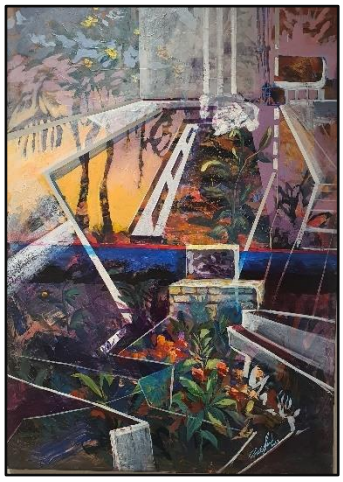

شكل(16)

بانسيه أحمد - ألوان أكريليك على توال - 2023

شكل(17)

بانسيه أحمد - ألوان أكريليك على توال - 2024

5.11. نورهان المهدي Norhan Elmahdi وتجربة فقد (الأب)

نورهان المهدي فنانة تشكيلية سكندريَّة تخرجت من كلية الفنون الجميلة عام 2016، شاركت في عددٍ من المعارض المحليَّة والدوليَّة. مَثَّلَت مِصر في العديد من الفعاليَّات الدولية من أبرزها معرض في متحف اللوفر بباريس، فرنسا في أكتوبر ٢٠٢٢، ومعرض بالمتحف الأوروبى للفن الحديث MEAM في برشلونة، إسبانيا.

تُصَوِّر أعمال الفنَّانة شعورها العميق بالفقد عقب وفاة والدها، فَسَادَت أعمالها اللون الأزرق والأسود بدرجاتهما المختلفة، واتَّخذت من المنحوتات الإغريقية واليونانية مُفرَدَةً لبناء أعمالها، قد يكون التمثال محاكاة لحالة الجمود التي يتعرَّض لها المرء إثر وقوع خبر صادم، حيث يُقرِّر الجَسَد أن يتحوَّل إلى صخرةٍ حتى يحمي نفسه في عقله الباطِن من التعرُّض لمزيدٍ من الألم؛ كما استخدمت رموزاً أخرى مثل الغراب الأسود الذي يربط العالم المادي بعالم الأرواح.

يُمَثِّل اللون الأزرق الثقة والولاء والهدوء وله تأثير إيجابي على العقل، ويُشَجِّع على الصبر والتعاطُف؛ فعندما يغمُر الإنسان الشعور بالتوتر، فاللون الأزرق يستدعي الاسترخاء مثل المحيط. وعلى الرغم من كونه انطوائياً، فإن اللون الأزرق له جوهر فريد فهو مكان احتضان المشاعر. هذا وقد يحمل اللون الأسود ارتباطات سلبية مثل الشر والظلام، ولكنه يدل أيضاً على السُلطة واليقين. وتعتقد الفنانة أنه يرمز إلى الفراغ المُتَمَثِّل في الظلام المُحيط بكوكب الأرض الذي لولاه لما كنتَ سترى الأرض.

في لوحة "النور الداخلي" [شكل (18)] تصطفُّ الغربان كما لو كانت تحضر جنازة بينما يظهر ملاك نائماً. يقف أحد الغربان فوق الملاك، الذي هو في حالة من الحزن. من خلال هذا العمل الفني تنقل الفنانة فكرة الهروب من ضغوط الواقع وإيجاد العزاء في النور

الإلهي بداخلنا. كما يُشير العمل الفني إلى أنَّ النور الداخلي يُمكن أن يساعدنا في خداع قوى الشر من حولنا. وفي موضع آخر، عبَّرت الفنانة عن النقاء فتضمَّنت اللوحة كيوبيداً نائماً يرمز إلى النقاء الذي يظل سليماً على الرغم من مكافحته للشر. [شكل(19)].

شكل(18)

نورهان المهدي - النور 2023-2021- 85x75سم

شكل(19)

نورهان المهدي - الحامى - زيت وأكريلك على قماش 77x65سم

12.التجربة العملية للباحثة (فقد الابن الرضيع)

شكل (20)

هالة الحداد – أكريليك على توال -2023- 130x120سم

انسدل الستار الرمادي على الألوان المتوهجة سابقاً لتطفئها، وذبلت النباتات وتغيَّرَ لونها من الأخضر المُشِع إلى درجات لونية باهتة، ووقفت الشخصيَّات مُتَحَجّرَة من هَوْلِ ما حَدَث، وبشيءٍ من التسليم في الوقت ذاته، فقد سمحت لهذه الطيور أن تحمل الروح بسلام وتُعيدها مرةً أخرى من حيثُ أتت، بعض من درجات الأزرق في الأسفل يُطفِئ الحُمرة الغاضبة ويُحاول أن يبحث عن بَصِيصِ أَمَل.

لجأتُ إلى استخدام عناصر حيّة تجمع بين البشر والطبيعة والطيور والبحر وشتى المخلوقات بعد اختزالها في جوهرها المُجَرّد وتأثيرها العاطفي والإنساني لتبقى - في النهاية - القيم الصافية أو المُأَطِّرَة للفن، وإن اختلفت من عملٍ إلى آخر بحسب رؤية العمل الفكرية.

إنّ الألم والحزن من أكبر المُحَفِّزَات التي أنتجتُ من خلالها هذا العمل، وهو مُحَفِّزٌ أقوى من شعور الفرح لأنَّ ما اختزنتُه من مشاعر الحزن والألم داخلي هو الركيزة الأساسية لما سأشعر به من سرور في مواقف الفرح لاحقاً. فالألم سَيُوَلِّدُ الرغبة في البحث عن الإرادة التي دفعتني للعمل، وقوة تلك الأحاسيس ستُحاول أن تدفع هذه الروح المُتَـألِّمَة نحو اللجوء إلى عالم تطمئن إليه وتقطع صِلتها الحسيَّة عن العالم الواقعي لتنتقل إلى عالم خيالي يُنسِيها الأوجاع وألم الفقد.

شكل (21)

هالة الحداد – أكريليك وورق دهب على توال - 2023- 100x60سم

فتاة واقفة تضم يداها إلى صدرها تحتضن وردة ذابلة فقدت روحها مُوَدِّعَةً هذه الروح المُتَمَثِّلَة في الطيور الزرقاء. وملامح الوجه والجسد الإنساني هنا مُحَمَّلَةٌ بانشغالات كبيرة مع الحفاظ على الوجه تصويرياً وقوة حضوره من حيث اللون وقوة التعبير في مشاعر الافتقاد. حاولتُ في هذا العمل الحفاظ على جماليات المرأة وأنوثتها فهي لا تستطيع أن تتخلى عن أنوثتها مهما أظهرت من القوة والثبات؛ إذ تخطو خطواتها لإثبات قدراتها وإمكانياتها في حياتها بما تحمله من رقة ودفء ومشاعر وحنان.

العمل لديه قوة من خلال حركة الألوان وتدرجاتها وطريقة توزيعها بين القاتم والفاتح والساخن والبارد بجانب الألوان الواضحة والمدرجة في الشعر باستخدام طرق تلوين مختلفة تمثلت في الانتقال اللوني بين الدرجات البُنيَّة والساخنة وورق الذهب الذي ظهر وكأنه رعد أو برق والدرجات القاتمة في الخلفية ودرجات اللون الزيتي في الجسد والثوب.

والعمل هنا به درجات مُشَبَّعة بألوان داكنة غنيَّة من اللونيْن الأسود والبُنّي، والألوان الرماديَّة والخضراء باستخدام ضربات فرشاة قوية، ويبدو الإيقاع اللوني وتنوُّعه من خلال استخدام مجموعة ألوان هادئة ومُبَسَّطَة وبين السطوع والظهور في أخرى مثل ظهور اللون الذهبي

والأصفر أعلى الوجه وترديدهـ مع مساحات بسيطة من الخلفية مما يُضفي نوعاً من الوداعة ورشاقة الحركة والأُلْفَة بينها وبين المُتَلَقِي في مواجهة تركيبات الخلفيات المُلَوّنَة.

وجه هذه الفتاة لِسَيِّدة أفريقية حيث تتمتع النساء الأفريقيات بهذه السِمَة المُمَيّزة من شعر مُجَعَّد وشفاة غليظة وبشرة سمراء، جذبني الشعر المُجَعَّد والبشرة السمراء والشفاة المكتظة، وقمتُ بعمل شخصية نسائية رشيقة وذلك للجمع بين الجماليات الأنثوية. واللوحة تُجسِّد الحديث عن الذات والشخصيَّة، فهي تُعَدُّ رَدُّ فِعلٍ لما حدث من شيءٍ مُؤلِم مع وجود ملامح ساكنة تطمئنها القوى الإلهية من خلال مفردات ملموسة.

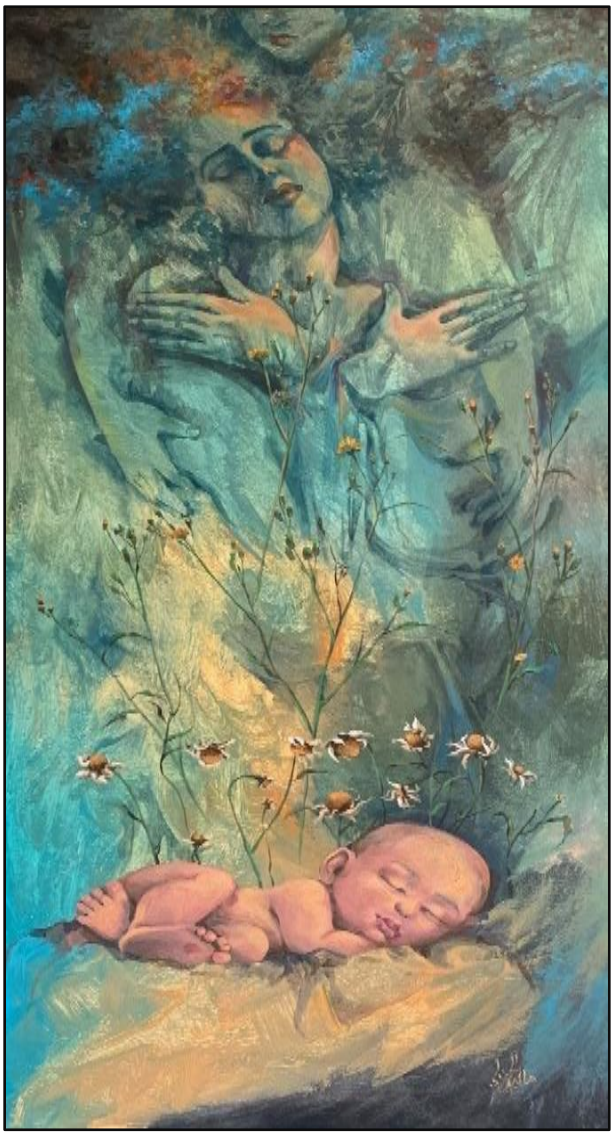

شكل (22)

هالة الحداد – أكريليك على توال -2023- 130x70سم

يُمَثِّلُ العمل هنا منطقة الحلم في حياتنا الذي إذا فقدناهـ تُصبِح الحياة قاسية حيث تحوُّل الألَم إلى نتاج تشكيلي وبحث جمالي يتوق إلى المشارَكَة والتفاعُل في جِديّة الطرح الإبداعي الإنساني، نتاج فَنّي يُرَسِّخ من خلاله الفنان ويُجَسِّد كثيراً من الحالات الإنسانية التي تضجُّ بالمشاعر مستنداً إلى ذاكرة بصريَّة أثَّرت في فِكرِهـ وريشته، فَعَمَلَ على تسجيل اللحظة والموقف ووثَّق المرحلة من ألمٍ وفراق وموتٍ وعذاب.

مساحة اللوحة بها استطالة، شَغَلَ الثلث السُفلي منها طفل رضيع نائم في سلامٍ وراحة ترعاهـ الأزهار ولديه حضور لوني قوي فقد ابتعد بألوانه وجسدهـ عن أمه من حيث التركيب اللوني في خلفية العمل حيث ظهرت الأم في رماديات الأخضر في ماعدا كف يديها وشفتاها التي حملت جزء من لون الطفل وروحه، ويُطمئنها ملاك صغير بيديه يقف خلفها ويضُمها لتهدأ وهي لا تراهـ لكنها تشعر به بشكل قوي.

العمل في النهاية هو نتاج إنساني لمخزون من المشاعر وهنا نستدعي تجارب فنية تنحو هذا المنحى لتتّخذ من ألمها ومأساتها أو معاناة غيرها خصوصيّة لمنجزاتها الفنية. وهنا نجد أنفسنا أمام بعض التجارب الفنية التي تولّدت عن التجارب الإنسانيّة الأليمة والتي تحوّل فيها الألم والمأساة إلى إبداع فني ترسم المواد والألوان والخامات والتقنيات دلالاته الرمزية وعلاقاته الجمالية ليصبح المنجز التشكيلي بذلك ثقافة بصرية ملتحمة مع قيم جمالية تجمع الحاضر بالماضي وتستشرف المستقبل عن طريق الرمز والتعبيرالانطباعي واللوني.

شكل (23)

هالة الحداد – أكريليك على توال -2023- 60x60سم

في مساحات كبيرة من اللون الأزرق انقسم العمل في شكل خط وهمي مائل إلى جزين، أحدهما قاتم الزرقة وبه لمسات فرشاة عريضة من الألوان البرتقالية والخضراء يحمل في داخله طفل رضيع نائم، والآخر مُلَوّن بدرجات زرقاء سماوية فاتحة به سَيِّدة مالت بجسدها كله نحو طفلها لكن هناك حائل ما لا يُمَكِّنها من الوصول إليه. يغمر الشكل اتجاهات شَتّى من عناصر التصميم المتمثلة في الشخصيات تعززها المرونة اللونية بتنويع ضربات الفرشاة، والتوافق النفسي بين قوة الارتجال على السطح وطبيعة العجينة اللونية المتنوعة ومن ثم الدراسة الدقيقة للوجوهـ والأجساد.

تم بناء هذا العمل على أساس اثنين من العناصر التشخيصية وكأنها كُتَل صخرية منحوتة في الخلفية متراكبة وتمثل هذه الكتلة في الخلفية الرئيسية الفتاة باللون الأزرق، وبرغم سيطرة المساحات اللونية على العمل، إلا أنّ الوجود الإنساني فرض نفسه في التكوين من حيث التصميم والتركيب واللون. لعب تنوُّع الملامس التصويرية مثل اللمسات باللون الأخضر والبرتقالي التي تبدو وكأنها تتحرك دوراً كبيراً وحركة الخطوط الوهمية على شكل حرف x دوراً في إبراز حيوية الحركة والتأكيد على الشكل الإيقاعي بين علاقات الجزء بالكل والدمج فيما بينهما.

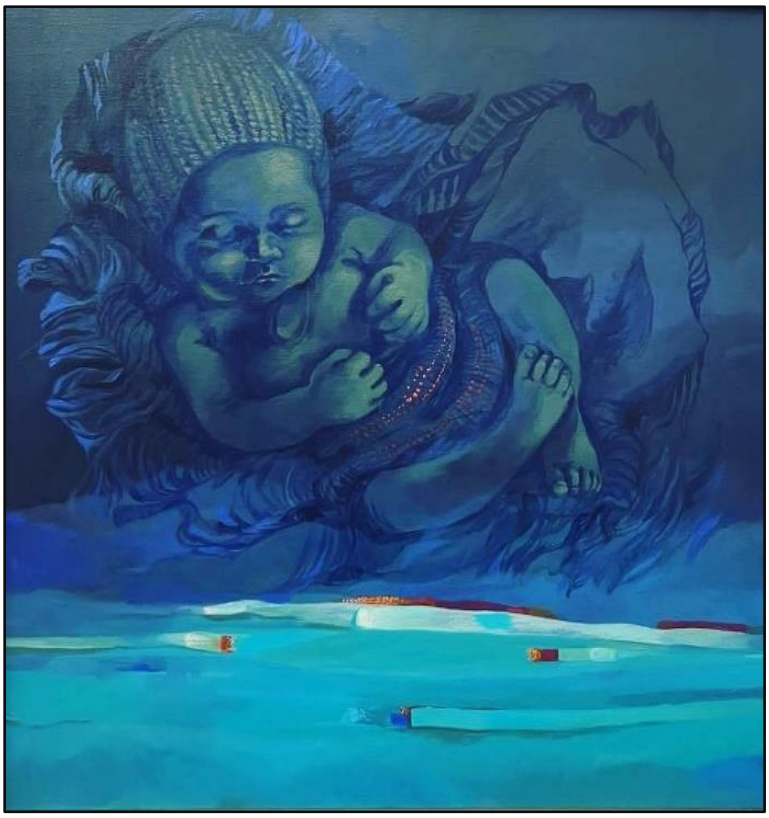

شكل (24)

هالة الحداد – أكريليك على توال -2023- 60x60سم

في ثلثي العمل من الجهة العلوية يسبح طفل رضيع والذي يُمَثِّلُ بطولة العمل في فضاءٍ أزرق بغطاء نومه الذي يسبح معه أيضاً في العالم الآخر تاركاً إشارات تمثلت في الثلث السفلي بخطوط أفقية تُشير إلى توقف نبض القلب، ولكن ثمة ألوان نابضة تنبعث بين هذه الخطوط تُشير إلى الأمل في عودة اللقاء مرةً أخرى لاحقاً.

الألوان هنا يغلب عليها الانسجام بين الألوان الباردة الزرقاء وقليل من الأبيض، وهناك إظهار طفيف لتكامل الألوان حيث استخدام درجات الألوان الساخنة مع كمية صغيرة من الأحمر ليقوم بخدمة التصميم؛ فالقماشة التي تُغَطِّي الرضيع، اختلطت ملامسها الخطية الزرقاء مع خطوط رفيعة ونقاط باللون الأحمر، ردّدَتها مربعات حمراء صغيرة لتحقيق التوازن في هذهـ المساحة الكبيرة ولتركيز بؤرة الاهتمام في قلب العمل على الأجزاء الأكثر أهمية من اللون فيزداد ثراء العمل بصرياً. أمّا في الجزء الذي به الرضيع، فقد تَلَوّنَت الأجزاء العُلوية بألوان واضحة من الأزرق أصبحت باهتة كلما نزلنا بأعيننا للأسفل وهذا بدورهـ يُبـــرز الحركة في التصميم.

يُمَثِّلُ العمل حالة ضِمنية من الشعور بالبُعد من حيث وضعية الرضيع واستخدام اللون الأحمر الذي يبعث على الحياة والتدرجات المُنسجمة في الألوان الباردة بين الأزرق ودرجاته والأبيض. و الاتجاهات الأفقية بشكلٍ عام تُوحِي بالسكون عندما تُحاكي خط الأفق السّاكِـن.

13. نتائج البحث:

1. الألم النفسي يعمل على إبراز خصوصية تجربة الفنان.
2. العملية الإبداعية والفنية تعتبر تنفيسية تساعد في تخفيف الألم والتعبير عنه حتى يمكن اجتياز الأوجاع النفسية بأمان.
3. البوح عن الألم قد يكون بطريقة أكثر فاعلية من الكلام عن طريق الأعمال الفنية التشكيلية المختلفة والعملية الإبداعية بشكل عام.
4. المرأة كائن مُحَمَّل بالعديد من المشاعر قد يمنح الألم أعمالها صفة الجرأة والقوَّة في التعبير في آن واحد بحيث يستطيع التعبير بصدق عن قوة الألم.
5. عند حدوث الصدمة يصاب العقل بمحدودية نقل الحدث وعدم القدرة على التنفيس بطريقة غير واعية ووحدها التجربة الفنية قادرة على نقل ما حدث بأمانة وصدق وتفصيل.

6. عندما تضيق بنا السُبُل نجد أنفسنا مُرغَمِين على التجربة الإبداعية فنستسلم لها في محاولةٍ للتعليل والتحليل وهذا ما يقودنا بدوره إلى الطمأنينة والراحة النفسية.

7. يشترك الجميع في تجربة الفقد سواء فقدنا شخصاً عزيزاً أو شيئاً مُهِمَّاً في حياتنا، لذلك تَجِد الأعمال الفنيَّة صدى في نفوس الكثيرين مِمَّا يُشعرهم بالمُشَارَكَة الوجدانيَّة والارتياح.

14.توصيات البحث:

1. الإعلاء من قيمة الحدس الذي يرتقي بالنفس الإنسانية ويساعدنا على اكتشاف أرواحنا ودواخلنا وإلهامنا بالطاقة الإبداعيَّة والفنيَّة.

2. علينا تقبُّل الألَم فهو ضرورة تنقلنا إلى باطِن مَعنى الحياة حتى نتجه نحو الشعور بالعرفان له أحياناً فهو يُطلِعنا على طبيعتنا المتفردة التي لا يُمكن التعبير عنها بالألفاظ.

3. إنَّ الحَدس الجمالي المُقترِن بالألم والمعاناة قد يَنَسَى فيه الإنسان نفسه في لحظةٍ معينةٍ من الزمان فلا يُدرِك إلا حقيقة الشئ الذي يتأمله ويفكر فيه.

4. الأحداث المتواترة لابد أن يعقبها تَبَدُّل وتَحَوُّل للأعمال الفنية، لذلك يجب إعادة تقييمها وتفسيرها باستمرار لإثراء العمليَّة الفنيَّة الإبداعيَّة بعددٍ من الأعمال المختلفة التي تُحاكِي طبيعة النَّفس الإنسانية المُتَغَيِّرَة أيضاً والمتأثرة بالأحداث المُحِيطة.

5. تفعيل القراءة التشكيلية لثنائية الحضور والغياب في العمل الفني التشكيلي والذي ينطلق من مفهوم التداعِي لمُفرَدَات تشكيليَّة مُتَّسِقَة مع العمل حيث يبدو المعنى أكثر تكثيفاً بدايةً من اختيار الفكرة وحجم العمل المناسب وتحديد الخامات والتقنية والملامِس وتوزيع الكُتَل وطبيعة التكوين.

6. إدراك الوظيفة الدلالية للألوان والخطوط والأشكال داخل الأعمال الفنية وكذلك القيمة الدلالية للحركة والصرخة والإيماءة وكل إشارة أو رمز نستخدمه في نقل رسالةٍ ما حين نتواصل مع الآخرين من خلال الأعمال الفنية.

7. تعزيز القيمة الفنيَّة التي تُساعِد الفنان والمُتَلَقِّي على التعبير عن مشاعرهم المكبوتة والتخلُّص من الطاقة السلبية.

15.خاتمة البحث

يُعَدُّ الفقد تجربة إنسانية عالمية، وقد وجد الفنانون التشكيليون في أعمالهم وسيلةً للتعبير عن هذا الشعور المُعَقَّد، فمن خلال لوحاتهم استطاعوا الوصول إلى أعماقنا وإثارة مشاعرنا وتذكيرنا بجمال الحياة وقيمتها. هكذا نرى أنَّ الفن هو المُتَنَفَّس عندما يشتد علينا الواقع بآلامه وأحداثه. وفي التجربة لبعملية للباحثة، تحتوي كل لوحة على أكثر من شخصيَّة تصحبها الأزهار والورود والطيور التي تؤدِّي إلى التوازن الشكلي بين التناقضات الداخلية للنفس، إذ أترك العنان لسطوة إلهامي حيث قوة اللون وحضورهـ أولاً، فتظهر الشخصيات في بعض الأعمال وتختفي في أعمال أخرى، تكبر أحياناً وتتضاءل أحياناً أخرى. إنه التداعِي الفِكري واللونِي الذي تُوجَد من خلاله الأشكال والشخصيَّات. وتظهر خلفيات الأعمال على هيئة دفقات لونية غير مُتماثلة ، فتُجَسِّد حيوية الخيال في محاولةٍ للتعبير عن تلك الطاقة الرُّوحية المُنَظَّمَة. فالاحتفاء بالوجود الإنساني من حيث الخطوط والألوان يربط بين ماضيه وحاضرهـ ومستقبله، ويَبرُز ذلك في عددٍ من اللوحات المعروضَة حيث أنقل خبرة البشر في صناعة الفن والحياة، وهكذا يبدو الحضور الإنساني كأنه التَّجَلي الأعمق للذات في اللوحة.

16.مراجع البحث

1.16. المراجع العربية

1. إيميه آزار(2005). *التصوير الحديث في مصر*. ترجمة نعيم عطية، مراجعة إدوار الخراط، المجلس الأعلى للثقافة.
2. نورالدين خليل (2008). *قاموس الأديان الثلاثة الكبرى*. مراجعة: محمود آدم. الإسكندرية: مؤسَّسة حورس الدولية للطباعة والنشر.
3. كمال الملاخ (1984). *سيف و أدهم وانلي*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. قطاع الفنون التشكيلية: *السيرة الذاتية لأدهم وانلي*. منشور في 14 ديسمبر 2017. اطَّلَعَت عليها الباحثة بتاريخ 15 سبتمبر 2024.

2.16. المراجع الأجنبية

1. Toyne, Anthony. (1993). *Oxford Illustrated Encyclopedia*. Oxford University Press.
2. Harrison, Martin. (2005). Sutherland and Bacon: A Story of Friends Disuniting. The Art Newspaper.
3. Chilvers, Ian. (1999). *A Dictionary of Twentieth-Century Art*. Oxford University Press.

3.16. المراجع الإلكترونية

1. https://www.moma.org/artists/3692
2. https://artincontext.org/les-amants-by-rene-magritte
3. https://www.renemagritte.org/not-to-be-reproduced.jsp
4. https://www.renemagritte.org/man-in-a-bowler-hat.jsp
5. https://www.tate.org.uk/art/artists/francis-bacon-682
6. https://www.artnet.com/artists/francis-bacon/7
7. https://www.metmuseum.org/art/collection/search/494826
8. https://web.archive.org/web/20081216015751/http://www.archividelnovecento.it/

SCIENTIFIC JOURNAL OF FACULTY OF FINE ARTS ALEXANDRIA UNIVERSITY
PRINT ISSN : 2356-8038 ONLINE ISSN : 2535-227X
DOI : 10.21608/SJFA.2024.264825.1040

LOSS AND ITS IMPACT ON MODERN AND CONTEMPORARY PAINTING: AN ANALYTICAL STUDY

Hala Haddad [1]

ABSTRACT

Loss is one of the deepest human experiences that leave a profound impact on the human psyche, and artists have expressed this complex feeling in a variety of ways, using art as a means of expressing sadness, longing and loss, and reflecting on life and death. This research aims to examine how artists embodied the concept of loss in their works, and what different dimensions they explore through this theme. The researcher dealt with a number of artists in the modern era from the West, such as René Magritt and Francis Bacon, and Arab examplars such as the Alexandrian artist Seif Wanly, and then contemporary generations that expressed the loss in artworks such as Somaya Al-Haddad, Marwa Ismail, Pansé Ahmed, and Nourhan Al-Mahdi.

We can see the contradictions in the artworks between joy and pain, between the power of expression in the faces and the softness of the performance, thus embodying part of the inner suffering that I have captured in my heart and recorded with my brush, as the artworks here are an expression of the self, with all of its pains, revealed by creativity. Formations that mix between humans, birds, plants, flowers, and paintings representing repetition and transparency, appeared. Since pain was the biggest motivation for creativity and inspiration, the paintings were full of pain yet seemingly vivid.

KEYWORDS: Intuition, Inspiration, Loss

[1] Lecturer at Painting Department - Faculty of Fine Arts - Alexandria University

hala.elhadad@alexu.edu.eg